مساهمات المرأة في الوقف الإسلامي العلمي
نماذج عبر التاريخ

بحث مقدم إلى مؤتمر

"أثر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية"

إعداد

د. عفاف عبد الغفور حميد

الأستاذ المشارك بقسم أصول الدين

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة

تنظيم

جامعة الشارقة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

الاثنين والثلاثاء 6-7 جمادى الآخرة 1432هـ. الموافق 9-10 مايو 2011م

للعام الجامعي 2010/2011م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.

فقد ساهمت المرأة المسلمة منذ بزوغ فجر الإسلام بكل التكاليف الشرعية وأعمال البر والخير والأنشطة الاجتماعية، وكان أمهات المؤمنين ونساء السلف الصالح خير قدوة لها، وتأتي مسؤولية المرأة لتوجه الخطاب الإسلامي– قرآناً وسنة– للرجل والمرأة على حد سواء، واعتبار المرأة كاملة الأهلية لتلقي الخطاب السماوي يشعرها بالمسؤولية الفردية، فهي كالرجل في التكليف والحقوق الإنسانية والموالاة وممارسة الاصلاح، قال تعالى:" مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ " (النحل:97)، وكما أنها كانت فاعلة في الدعوة ونشر العلم بعد التعلم، فقد كانت لها مساهمات أساسية في الوقف الإسلامي وخصوصا في مجال نشر العلم، كبناء المساجد والمدارس والمكتبات والإنفاق على طلبة العلم، وكان لها أثر جانبي يتمثل بتشجيعها للرجال من أسرتها على الوقف.

والبحث يكشف عن بعض مساهمات النساء في وقف أموالهن في أحد وجوه البرّ عامة، والعلمية خاصة، فضلاً عن إدارتها لهذا الوقف من خلال ذكر نماذج لهن من مختلف العصور والأمصار.

ويأتي البحث في تمهيد ومحورين وخاتمة:

التمهيد: جهود المرأة في أعمال البر والأنشطة الاجتماعية.

المحور الأول: نماذج لمساهمة المرأة في وقف المساجد.

المحور الثاني: نماذج لمساهمة المرأة في وقف المدارس والمكتبات.

الخاتمة: نتائج البحث والتوصيات

التمهيد: جهود المرأة في أعمال البر والأنشطة الاجتماعية

معنى الوقف لغة واصطلاحا

الوقف لغة: الحبس من وقف الشئ إذا حبسه[1].

اصطلاحا: هناك تعريفات كثيرة أقربها:

"تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة أو المنفعة"[2]، وهو أوجه التعاريف لأنه مقتبس من قول رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب ﷺ: "حبّس الأصل وسبّل الثمرة". **وقيل:** "حبس مال يمكن الانتفاع به، مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح موجود"[3].

مشروعية الوقف:

الوقف قربة من القرب، واستدل الفقهاء على مشروعية الوقف بأدلة عامة وخاصة، وتمثلت الأدلة العامة في حث النصوص على الصدقة والبر، والوقف من أعمال البر.

فمن القرآن قوله تعالى: "لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ.."آل عمران: 92. وكل الآيات التي تحث على النفقة[4] كقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"الحج: 77، وقوله: "وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ" البقرة: 280، وقوله: "وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوْهُ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ"آل عمران: 115.

ومن السنة النبوية ما دل على ندبه وأجمع المسلمون على ما ندبت إليه السنة النبوية [5]، ومن ذلك:

1- ما رواه الإمامان البخاري ومسلم، عن ابن عمر ﷺ أن أباه عمر ابن الخطاب ﷺ أصاب أرضا بخيبر فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها فقال: يا رسول الله إني أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط أنفس عندي منه فما تأمرني به؟ قال: "إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها"، قال ابن عمر: فتصدّق بها عمر أنه لا يباع أصلها، ولا يوهب ولا يورث وتصدق بها في الفقراء،

---

[1] انظر مادة وقف في: الأزهري، تهذيب اللغة، 333/9، وابن منظور، لسان العرب، 11/ 276، والزبيدي، تاج العروس، 6/ 369.

[2] المغني 5/ 544.

[3] مغني المحتاج 2/ 376، وعبد الكريم زيدان، المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية، 10/ 420.

[4] انظر مثلاً الآيات: البقرة: 3، 215، 219، 254، 261، 262، 265، 267، 274، وآل عمران: 117، 134، والنساء: 34، 38، والأنفال: 3، والتوبة: 53.وغيرها كثير.

[5] عبد الكريم زيدان، المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم، 421/10.

وفي القربى، وفي الرقاب، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والضيف، ولا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم متمول فيه[6].

والمقصود بقوله: "حبست أصلها وتصدقت بها "أي أبقيت أصلها لا يباع ولا يورث وتصدقت بمنفعتها"[7]، وقال الإمام النووي: "وفي هذا الحديث دليل على صحة أصل الوقف"[8].

2- ما أخرجه الإمام مسلم من قول الرسول ﷺ: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له" [9]، والصدقة الجارية في هذا الحديث محمولة عند العلماء على الوقف، لأن غيره من الصدقات ليست جارية بل يملك المتصدق عليه أعيانها ومنافعها ناجزاً"[10].

وقوله ﷺ: "سبعة يجرى للعبد أجرهن بعد موته وهو في قبره: من علّم علماً، أو كرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ورث مصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته"[11].

3- ويستدل على مشروعية وأنه مندوب بالإجماع قول جابر ﷺ: "لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ ذو مقدرة إلا وقف "وهذا إجماع منهم، فإن الذي قدر على الوقف وقف، واشتهر ذلك فلم ينكره أحد فكان إجماعا"[12].

وقد فهم الصحابة الأوائل فقه الوقف، وأن استفادته تستمر ما بقي الوقف، فكانوا يوقفون الدور والأراضي، والحدائق والأسلحة والدروع، وتعد بئر رومة أول وقف خيري في الإسلام، وكانا ليهودي يبيع ماءها لأهل المدينة، فلما هاجر الرسول ﷺ المدينة وليس فيها ماء يستعذب غير

---

6 البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف، برقم (2586) 982/2، وكتاب الوصايا، باب الوقوف وكيف يكتب، (2620) 1019/3، وفي كتاب الإيمان/ 2466/6، ومسلم كتاب الوصية، باب الوقف، برقم (1632) 1255/3.

7 ابن حجر العسقلاني، شرح صحيح البخاري للعسقلاني، 5/ 400-401.

8 شرح النووي على صحيح مسلم، 11/ 86.

9 مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم (1631) 1255/3، وأبو داود، كتاب الوصايا، باب ما جاء في الصدقة عن الميت، برقم (2880) 117/3، وابن ماجة، باب ثواب معلم الناس الخير، (240) 88/1.

10 المصدر السابق، ومغني المحتاج، 376/2.

11 سنن ابن ماجة، حديث (298)، والهيثمي، مجمع الزوائد، كتاب الإيملن، باب فيمن سن خير أو غيره، أو دعا إلى هدي، 167/1، والبيهقي، شعب الإيمان، (3449)، 248/3، والألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادته، 674/1، برقم (6302).

12 ابن قدامة، المغني، 545/5-546.

بئر رومة قال: "من يشتري بئر رومة فيكون دلوه مع دلاء المسلمين بخير له عنها في الجنة"فاشتراها عثمان ﷺ وأوقفها على أهل المدينة[13].

والوقف مظهر من مظاهر البر والإحسان والتعارف على الخير، وفيه صلة الرحم ورعاية الذرية بعد موت معيلهم، وفي الوقف إسهام في إقامة وإدامة المؤسسات الدينية ذات النفع العام كالمساجد ودور العلم ونحوها، وفيه إبقاء مصدر دائم للإنفاق على المعوزين والمحتاجين مع ما فيه من ثواب دائم للواقفين..[14].

وقد تزامن ظهور الوقف مع بداية تشكيل المجتمع الإسلامي بمؤسساته وتنظيماته، فلم ينشأ سابقا عنه أو لاحقا له، إذ روي عن الإمام الشافعي قوله: "لم يكن أهل الجاهلية يوقفون"وقوله: "إن الوقف من خصائص هذه الأمة، ما علمت جاهليا حبس دارا على ولد، ولا في سبيل ولا على مساكين"[15].

إسهام المرأة في أعمال البر والأنشطة الاجتماعية

حث الخطاب الإسلامي قرآنا وسنة على العمل الصالح، وقرنه بالإيمان، وبين منزلتهم إذ جمعوا بينهما فقال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً {30}"الكهف: 30، ووعدهم بالاستخلاف والتمكين بقوله: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً "النور: 55، وبشرهم بالجنة: "وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ.."البقرة: 25.

والمرأة معنية كالرجل بهذا الخطاب، فكان لها إسهام متميز يكمل إسهام الرجل في كل أنواع البر والأنشطة الاجتماعية والتي تعد معلماً بارزاً في حضارتنا الإسلامية، وتجلى ذلك منذ بداية الدولة الإسلامية في المدينة المنورة زمن النبي ﷺ فقد أحست المرأة بمسؤوليتها تجاه نفسها ومجتمعها، فقرأت القرآن وحفظت وتعلمت فكان لها أثر في تبليغ العلم وبالأخص رواية الحديث النبوي، حيث يتعلق به العمل والتطبيق، وكان للنساء صفّة وهي سقيفة خاصة بالنساء في المسجد النبوي[16]، وكانت تجتمع فيها مجموعة من النساء قد تخاللن وتآخين وتعاهدن فيما بينهن على القيام ببعض أعمال البر المفيدة النافعة، ومنها النواحي التعليمية حيث طلبن من

---

[13] البخاري، كتاب المساقاة، باب في الشرب ومن رأى صدقة الماء، 220/3.

[14] عبد الكريم زيدان، المفصل، 10/ 422.

[15] ابن الخوجة، محمد الحبيب، لمحة عن الوقف في التنمية في الماضي والحاضر، عمان، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، 1996م، ص 5.

[16] العمري، أكرم، السيرة النبوية الصحيحة، 258/1، 448/2.

الرسول ﷺ أن يخصص لهن يوما لتعليمهن دينهن بعد أن غلبهن الرجال على ذلك، فاستجاب لهن ﷺ وجعل لهن يوما على حدة[17].

ومن الخدمات الاجتماعية التي شاركت بها المرأة كأخيها الرجل هي مهمة الضيافة لاستقبال ضيوف المدينة، ومنها دار رملة بنت الحاث الخزرجية من بني النجار [18]، وهي من المبايعات الأوائل وزوجها من الذين بايعوا في العقبة الأولى، وهو معاذ بن الحارث [19]، وهو من المؤسسات المبكرة التي خصصت لاستقبال ضيوف الدولة الإسلامية وقد نزلها كثير من الضيوف والوفود، وكانت تتسع لحوالي (400) فردا[20].

وكانت خيمة رفيدة الأسلمية [21] الملحقة بالمسجد بمثابة مؤسسة صحية خدمية تشرف على تطبيب المسلمين، وعدّ الذين أرخوا تاريخ الطب بأن خيمة رفيدة أول مستشفى في الإسلام[22].

وكانت أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية، ابنة عم معاذ بن جبل، وهي من المبايعات الأوائل، من ذوات العقل والدين، ومندوبة النساء إلى النبي ﷺ لسؤالها عن واجب المرأة في المجتمع، فأثنى عليها وعلى حسن سؤالها عن دينها حين قالت: "إني رسول من ورائي جماعة نساء المسلمين كلهن يقلن بقولي"[23].

واشتهرت نساء القرون الأولى وخصوصا الصحابيات بحب طلب العلم ونشره، وفي مقدمتهن أمهات المؤمنين، وكانت رائدتهن في ذلك السيدة عائشة رضي الله عنها، التي وصفها الإمام على ؓ بقوله: "لو كانت امرأة خليفة لكانت عائشة"[24].

ومن شعور المرأة المسلمة بالتكليف كانت تسارع في حضور الاجتماعات والمجالس والمناسبات المهمة، فأم سلمة تحدث أنها سمعت النبي ﷺ يقول على المنبر وهي تمشط

---

[17] البخاري، باب: هل يجعل للنساء يوما على حدة، 34/1، الكتاني، التراتيب الإدارية 235/2.

[18] انظر ابن حجر، الإصابة، 305/1، وابن سعد، الطبقات، 327/8.

[19] ابن حجر، الإصابة، 408/1، ابن عبد البر، الاستيعاب بحاشية الإصابة، 364/1.

[20] انظر: الكتاني، التراتيب الإدارية، 446/1–449.

[21] انظر: ابن هشام، السيرة، 258/3، والاستيعاب 353/4.

[22] أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص 9.

[23] ابن حجر، الإصابة وبهامشه الاستيعاب لابن عبد البر القرطبي، 4/ 235–237، 293/4، 468.

[24] ابن الرسام الحموي، نصيحة النساء المسلمات، تحقيق ليث سعود جاسم، (رسالة دكتوراه)، والكتاني، التراتيب الإدارية، 434/2، وانظر ما قيل في حق عائشة في: من جهود المراة في الحديث وعلومه، لعفاف عبد الغفور، بحث نشر في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية، مجلد 25، العدد 45، 1430، ومن جهود المرأة في التفسير، للمؤلفة نفسها، بحث نشر في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في قطر، العدد (25)، 2007م.

شعرها: "أيها الناس.." فقالت لماشطتها التي تمشط شعرها: استأخري – ابتعدي– عني.. قالت أم بركة: قالت الجارية: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء.. قالت أم سلمة: أنا من الناس.."[25].

وروت أخبار السير ما كان من جهود للنساء في تعليم الكتابة كالشفاء بنت عبد الله، ومن تعلم قراءة القرآن كأم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصارية، ومنهن من كن مسؤولات عن نظافة المسجد، فضلا عن قيامهن بالحرف التي تخدم المجتمع المسلم وقت السلم والحرب، كالغزل والدباغة وحياكة الحصر وغير ذلك[26].

كما ساهمت النساء في تمويل الخدمات الاجتماعية بأداء الزكاة والتطوع بالصدقات مما لا مجال لذكره.

المرأة والوقف بشكل عام

ومن الموارد التي أسهمت فيها النساء الوقف بأنواع، ابتداءً من زوجات الرسول ﷺ أمهات المؤمنين، كعائشة بنت الصديق، وحفصة بنت عمر، وأم سلمة، وأم حبيبة، وصفية بنت حيي بن أخطب، وابنة الرسول فاطمة، وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهن أجمعين[27].

فكانت زوجات النبي ﷺ، القدوة الحسنة في فعل الخيرات والبذل والوقف، فهذه عائشة رضي الله عنها اشترت داراً وكتبت في شرائها أني اشتريت داراً، وجعلتها لما اشتريتها له، فمنها مسكن لفلان ولعقبه ما بقي بعده إنسان ومسكن لفلان، وليس فيه ولعقبه ثم يرد ذلك إلى آل أبي بكر.

كما وقفت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها حُلياً ابتاعتها بعشرين ألفاً فحبستها على نساء آل الخطاب – للبسه وإعارته– فكانت لا تخرج زكاته.

كما قامت بمهمة إدارة الوقف، فقد نص الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلب وقفيته على أن ناظر وقفه هي حفصة بنت عمر رضي الله عنها، زوج النبي، وكانت السيدة حفصة أول مشرفة على الأوقاف حيث ولاها عمر ﷺ هذه المهمة بعد وفاته وكتب وصية بقوله: "هذا ما وصى به عبد الله عمر أمير المؤمنين إن حَدَثَ به حدَث الموت، أن تمغاً، وصرمة بن الأكوع، والعبد الذي فيه، والمائة سهم الذي بخيبر ورقيقه الذي فيه، والمائة التي أطعمه محمد ﷺ بالوادي تليه حفصة ما عاشت، ثم توليه ذا الرأي من أهلها أن لا يباع ولا يشترى ينفقه حيث يرى، من السائل والمحروم وذي القربى، ولا حرج عليه، إن أكل أو آكل

---

[25] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض رآه ﷺ وصفاته، برقم (2295) 1795/4، وانظر ابن حزم، علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي، الإحكام، القاهرة: دار الحديث، 1404هـ، 341/3.

[26] انظر: ليث سعود جاسم، الرعاية والخدمات الاجتماعية في عصر النبوة ودور المرأة المسلمة فيها، مجلة الحكمة، العدد (14)، ص 343–413، بريطانيا.

[27] ابن الخوجة، ص 12.

واشترى رقيقا منه" وبالتالي فالسيدة حفصة أول امرأة تتولى ولاية الوقف. وقد وعت الصحابيات ومن بعدهن هذا الأمر.

وقد نالت المرأة في الحضارة الإسلامية من التكريم، ما لم تنله في أية حضارة أخرى : فمن ناحية التصرف بما تملك، تمتعت المرأة بكامل حقوقها وحريتها المدنية التي جعلت منها أهلاً لإجراء العقود وتحمّل الالتزامات هذا التكريم انعكس على بذلها وعطائها وفعلها الخير ومشاركتها في الوقف بمختلف أنواعه، سواءً بسواء مع الرجل، حيث أظهرت دراسة كمية للأوقاف الكبيرة أن 25% من الأوقاف أنشأتها النساء، بل امتد إسهامها ليشمل أيضاً النظارة عليها، إذ عينت ناظرات من النساء على 14% من الأوقاف، كما أن وثائق الوقف التي تعد مصدراً تاريخياً غنياً باهتمامات المجتمع، قد عدّت وقفيات المرأة هي أحد المصادر التاريخية لتتبع تطور المرأة في الإسلام[28].

ويلاحظ هنا أن وقف المرأة في صدر الإسلام كان محدوداً، لا يتعدى السكن أو مجموعة حلي أو عقاراً صغيراً، وهذا طبيعي لأن الدعوة الإسلامية كانت في بواكيرها، والمجتمع مايزال صغيراً لم تترسخ فيه مثل هذه المفاهيم. أما في الدولة العباسية، فإننا نستطيع أن نلمس وقف المرأة بشكل أكثر من ذي قبل، والواقفات إما أن يكنّ أمهات الخلفاء وزوجاتهم، أو من الجواري – وهن كثر– أو من العامة.

ومن أبرز الواقفات زبيدة زوجة هارون الرشيد وأم الخليفة

الأمين توصف بأنها صاحبة معروف كثير وفعل خير، فقد بنت البرك والآبار والصهاريج بمكة، وحفرت العين المعروفة بعين المشاش برأس الحجاز وأجرتها من مسافة اثني عشر ميلاً إلى مكة وعرفة في قناة محكمة.

فقد أمرت بحفر بئر ماء سنة 186هـ 802م، وهي السنة التي أدت فيها فريضة الحج، وذلك لما شاهدت ما يعانيه أهل مكة من التعب والمشقة للحصول على ماء الشرب إذ لم يكن لديهم مناهل وينابيع بل كانوا يعتمدون على ماء المطر أحيانا وعلى بعض الآبار التي تفيض أحيانا وتجف أحيانا أخرى، فأمرت خازن أموالها بدعوة المهندسين والعمال من أنحاء البلاد وقالت له كلمتها: "اعمل ولو كلفتك ضربة الفأس دينارا" ، ووفد على مكة مهندسون أكفاء وعمال فاعتمدوا على (عين حنين) فأسالوا منها الماء تحت الصخور الصلدة وانساب الماء في أرض مكة، وما زالت البئر تعرف ببئر زبيدة إلى يومنا هذا ينتفع منها أهل المنطقة والحجاج الوافدون..[29].

---

[28] انظر: إيمان الحميدان، المرأة والوقف، إصدار الأمانة العامة للأوقاف سنة 2006.

[29] انظر: الطبري، تاريخ الطبري، 8، 240، 254، 359، 360، 626.

إن زبيدة هذه كانت تعي عظم الأجر والثواب الذي ستناله من الوقف على أشرف بقعة وهي مكة، وأعظم زوار وهم حجاج بيت الله الحرام، فأنفقت لهذا الغرض الشيء الكثير من مالها.
وقد اشترت حوائط وبساتين عين حنين وحبست أصولها وسبّلت ريعها لتوفير المياه للحاج.
هذا فضلاً عن الأربطة التي بنتها وقد زارها الرحالة ناصر خسرو أثناء رحلته، وكانت تقدم خدمات مجانية للمسافرين. كما أنها أوقفت أوقافاً عديدة أخرى يبلغ ريع ما هو قائم منها اليوم 1.621.320 ريال سنوياً، يصرف منها على تشغيل وصيانة منشآت عين زبيدة وملحقاتها، وعين زبيدة إلى الآن ما زال ماءها يُستخدَم وقد رأيت هذه العين كثيرًا.
كما أوقفت أم الخليفة الناصر العباسي رباطا في مكة المكرمة[30].
ومن المساهمات في الوقف أم الحسين بنت قاضي مكة، شهاب الدين الطبري، التي أوقفت رباطا في مكة عام 784هـ/1382م، وأم القطب القسطلاني، التي أوقفت رباطا أيضا في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، أي في وقت وقف أم الحسين[31].
كم خصصت بعض النساء وقفهن لخدمة الحجيج وخوصا النساء المغربيات مثال ذلك محطات الحجيج كأم قاسم المرادية السفيانية القرن الثامن الهجري، فهذه الوقفية ذات الطابع الخيري الخدماتي لأداء مناسك الحج وهي أميرة ورثت ثروة طائلة تنحدر من بيت علم ومال وابنها ابن قاسم المرادي من أبرز علماء النحو واللغة والتفسير والمنظومات الفقهية، له عشرات المؤلفات من أبرزها في اللغة الجنى الداني في حروف المعاني.
هذه المرأة أوقفت ثروتها لبناء محطات التزود بالزاد والماء والاستراحة للحجيج ولدوابهم حيث في كل بلد من مدينة آسفي إلى مكة المكرمة دار من طبقتين طبقة لاستراحة الحجاج وتزويدهم بالأكل والدواء وطابق للدواب لأكلها واستراحتها ودوائها كما يتم استبدال الدواب وتعويض ما مات منه، وقد أقامت أم قاسم المرادية هذه الفنادق على بعد كل بريد أي 50 كلم عبر الطريق التالي: المغرب عبر آسفي، فاء، وجدة، الجزائر: عبر تلمسان – وهران العاصمة، قسطنطينية، تونس: القيروان، ليبيا: طرابلس بنغازي، مصر: الإسكندرية – الفسطاط، فلسطين: العريش – غزة – القدس، سورية: اليرموك، الجزيرة العربية: المدينة المنورة – مكة.
وفي اليمن وبالتحديد في أواخر الدولة الصليحية 439-532/1047-1137م تظهر السيدة الملكة أروى بنت أحمد الصليحي التي تصفها المصادر بأنها كانت على قدر كبير من رجاحة العقل وبعد النظر وقوة الإدراك حتى أنها كانت تلقب بـــ "بلقيس الصغرى" ، وقد

---

[30] تقي الدين، محمد بن أحمد الحسني القاسمي المكي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1406هـ/1986م، 18/1.
[31] الفاسي، تقي الدين، 121/1.

شاركت زوجها المكرم بن علي في الحكم ثم زوجها اللاحق سبأ بن أحمد حيث استقلت بعدها في حكم هذه الدولة إلى أن توفيت عن 88 عاماً سنة 532/ 1137م.

وقد شاركت المرأة في الوقف وإدارته بجميع أنواعه، وفيما يتعلق بالجانب الاجتماعي أيضا يلاحظ هنا أن الوثائق الوقفية تكشف لنا أن العلاقات الزراعية لم تكن تتعلق فقط بعالم الرجال، بل أن المرأة كانت تشارك بشكل يلفت النظر في الدورة الاقتصادية للحياة الزراعية، وما يثير الانتباه هنا أن المرأة كانت تبرز في الجانب الأول كما في الجانب الثاني، أي في الجانب الذي يؤجر الأرض، وفي الجانب الذي يستأجر الأرض، ففيما يتعلق بالجانب الأول تكشف لنا الوثائق الوقفية عن قيام النساء بتولي النظارة على الأوقاف، وهو منصب مهم ومؤثر في الحياة الاقتصادية الاجتماعية لدمشق في العصر العثماني إذا كان يمنح حاحب حق التصرف في أراضي وممتلكات واسعة (تأجير الأراضي واستبدالها الخ...) مما كان يؤمن له، بالتالي نفوذا في المجتمع المحلي إذ إنه كان يستطيع بسهولة التلاعب بالممتلكات الوقفية والاغتناء بسرعة[32].

وتدل الوثائق على مساهمة المرأة في نجد في الوقف الخيري لأراض وممتلكات لأغراض متعددة، مثل الوقف المثبت في وصية هيا بنت عبد العزيز بن عبد اللطيف[33].

المحور الأول: نماذج لمساهمة المرأة في وقف المساجد

من المعروف أن للمسجد أثر عدا إقامة شعيرة الصلاة، يتمثل في التعليم وتنشئة الأجيال المتعلمة وخصوصا في العصور الأولى ومن هنا كانت المساجد ومنها الموقوفة تقوم بمهمة تعليمية كبيرة، فلإذا حلّ الإسلام في بلد حلّ معه المسجد. وكما كان أول عمل قام به رسول اللّه، ﷺ، حين حلّ بالمدينة المنورة هو بناء المسجد، فكذلك كان يفعل الفاتحون والدعاة وعموم المسلمين إذا حلّوا وحلّ دينهم بقطر أو مدينة أو قرية. وإذا كانت حركة الوقف قد أسهمت في مجالات عديدة بنسبة كبيرة أو صغيرة، فإنها قد تولت بصفة كلية مهمة بناء المساجد وتعميرها ورعايتها...إلخ، فلا مساجد إلا مساجد الأحباس، ولا يكون المسجد إلا حبساً. ومعنى هذا أن جميع مساجد المسلمين هي أوقاف للّه تعالى. فقد تلازم الوقف مع المسجد، بل يعد المسجد أول وقف في الإسلام[34].

---

32 الأرناؤوط محمد، دور الوقف في المجتمعات الإسلامية، ص 151–152. وذكر فيه كما نقله عن وثائق من هؤلاء (الحاجة آسية خانم كريمة المرحوم سليل الوزراء علي بك عظم زادة).

33 انظر نص الوثائق: دلال بنت مخلد الحربي، إسهام المرأة في وقف الكتب في منطقة نجد، ص 17–18.

34 انظر: رقية بلمقدم، أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل، ط. وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية المغربية 1413هـ / 1993م، ص 42.

اهتمت المرأة بالوقف على الجوامع والمساجد التي كانت تؤدي بالأساس مهمة علمية ، وقد شاع وقف النساء للمساجد في العصر العباسي وما بعده مقترنا بالحركة العلمية السائدة، وكانت ملجئا لطلاب العلم الوافدين يجدون فيها الرعاية والنفقة لمتابعة طلبهم للعلم.

نماذج لمساهمة المرأة في وقف المساجد:

من العصر العباسي وقف السيدة زمرد خاتون، زوجة الخليفة العباسي المستضيء لمسجد الخفافين في بغداد، الذي تعدّ منارته أقدم منارة معروفة في بغداد، وإنشاء السيدة فاطمة خاتون حفيدة السلطان قانصوه الغوري للمسجد الكبير في جنين. وفي هذا السياق لا بد من ذكر ما قامت به السيدة فاطمة الفهري وأختها مريم في القرن الثالث الهجري، حيث قامت فاطمة بإعادة بناء جامع القرويين في فاس بينما قامت أختها مريم بإنشاء جامع آخر في فاس.

وسيدة أخرى هي البهاء بنت الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية، كانت متبتلة شديدة الرغبة في الخير، وهي واقفة المسجد الذي بربض الرصافة، توفيت سنة 305/ 917م.

وفي مصر زمن الدولة الفاطمية حيث عرفوا بالاهتمام بالوقف وقف السيدة تغريد زوجة الخليفة المعز وأم العزيز بالله أوقفت جامع القرافة ولما كان بناء جامع القرافة عام (366/ 976م) فهو يعدّ ثاني جامع أقامه الفاطميون في مصر بعد الجامع الأزهر، وكان هذا الجامع كسائر الجوامع الكبيرة في مصر والقاهرة تقام فيه صلاة الجمعة ، وقد تعرض للحريق عند خراب الفسطاط عام 564/ 1168م.

والسيدة علم الآمرية زوجة الخليفة الآمر بأحكام الله تذكر معها مجموعة من المساجد مثل مسجد السيدة رقية الذي أقامته عام 527/ 1132م، وفي هذا المسجد تابوت خشبي عليه نقوش كتابية "هذا ضريح السيدة رقية ابنة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب". ومسجد النارنج وأطلق عليه هذا الاسم لأن نارنجه لا ينقطع أبداً، وقد أخرجت له أموالاً كثيرة في عام 522/1128م، ومسجد الأندلس الذي بني عام 526/1131م.

أسهمت سيدات من خارج الأسرة العلوية بالوقف على المساجد أيضاً، مثل ست غزال التي بنت مسجداً حمل اسمها عام 536/ 1141م، ويذكر عنها أنه كان لها منصب كتابي في قصر الخليفة ولا تعرف شيئاً إلا أحكام الدوى والليق ومسح الأقلام والدواة، وكان برسم خدمتها مأمون الدولة الطويل.

أما في المغرب الإسلامي: فقد ساهمت النساء الصالحات في بناء الصرح الحضاري للأمة الإسلامية، إذ رصد التاريخ الحديث عدة مخطوطات تتحدث عن سيرهن، حيث حفظن القرآن وعلومه وخصصن أيامهن للكسب والعلم ولياليهن للذكر والقيام ووقفن أنفسهن على تفريج

الكرب وخدمة أهل العلم وتزويد الحجاج. كثيرات من العالمات والعابدات كن قد أوقفن ثروتهن لخدمة الحجيج منهن فاطمة بنت محمد التي انزوت في جبال منطقة أكاديد للعلم والعبادة وتزويد الحجيج.

المثال الأول: هو جامع القرويين بفاس، وهو المسجد التاريخي العظيم الذي أنشأته السيدة فاطمة بنت الشيخ الفقيه أبي عبد اللَّه محمد بن عبد اللَّه الفهري القيرواني، المعروفة باسم **فاطمة أم البنين**. وكانت (رحمها الله) قد ورثت عن والدها ثروة مباركة لم تطب نفسها إلا بأن تهبها للَّه تعالى فتبني بها مسجداً جامعاً، واختارت له الأرض المناسبة بنفسها، ودفعت ثمنها (ستين أوقية من الذهب) مع تكاليف البناء، وقد تم الشروع في بناء جامع القرويين في شهر رمضان الأبرك من عام 245 هـ، وقد نذرت السيدة فاطمة الفهرية أن تصوم للَّه طيلة مدة بنائه.

وخصوصية جامع القرويين لا تكمن فحسب في هذه السيدة الصالحة التي بنته من حُرِّ مالها، ولا في أقدميته واستمرار وجوده إلى الآن، بل في مكانته التاريخية وآثاره الدينية والعلمية والسياسية والحضارية، مما سنعرض له من زاوية أخرى لاحقاً.

والفهريون كانوا من عداد المهاجرين القيروانيين الذين لجأوا إلى فاس منذ الأيام الأولى للإمام إدريس بن إدريس، ومن بين هؤلاء محمد بن عبد الله الفهري القيرواني الذي أدركه أجله بعد وصوله فترك ثروة طيبة لكريمته فاطمة أم البنين ومريم أم القاسم. فعزمت كل منهما على إنجاز مشروع ظل شاخصاً إلى اليوم. فقامت فاطمة ببناء جامع القرويين سنة 245/ 859م، ولم تزل صائمة إلى أن أكملته، وصلت فيه شكراً لله على أن وفقها لإتمامه. ويع د مسجد القرويين مسجداً جامعاً لاجتماع جميع سكان المدينة، وقد أثّر تأثيراً كبيراً في حفظ الحياة الدينية والعلمية في العالم الإسلامي، إن هذه المبادرة العظيمة من هذه المرأة كانت مصداقاً لعبارة ابن خلدون: "فكأنما نبهت عزائم الملوك من بعدها".

وقد أقبل ملوك المغرب على توسعته حتى انتهى إلى ما انتهى إليه، وكتب المؤرخ المغربي ابن أبي زرع في كتابه الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، فصلاً طويلاً عن جامع القرويين وما أضيف إليه في كل عهد منذ تأسيسه حتى وقت تأليف الكتاب في 726هـ/ 1326م.

المثال الثاني: وهو جامع الأندلسيين بفاس، وهو الشقيق الأصغر لجامع القرويين. فقد بنته السيدة مريم الفهرية شقيقة السيدة فاطمة الفهرية بانية جامع القرويين، والمسجدان أيضاً شقيقان من جهة بنائهما في وقت واحد في مدينة واحدة.

المثال الثالث: وهو مسجد جامع بنته امرأة ثالثة، هي السيدة مسعودة الوزكيتية، والدة الخليفة السعدي أحمد المنصور الذهبي، وهي التي بنت مسجد باب دكالة بمراكش، وجهزته بخزانة

للكتب، كما خصصت أحباساً للكراسي العلمية، وذلك سنة 995هـ[35]، وسيدة أخرى هي البهاء بنت الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية، كانت متبتلة شديدة الرغبة في الخير، وهي واقفة المسجد الذي بربض الرصافة، توفيت سنة 305هـ/ 917م.

وتعدى الأمر إلى الجواري، فهذه الجارية القيروانية فضل مولاة أبي أيوب التي خطت المصحف بجامع القيروان ببراعة باهرة ووقفته على القراء ، وهذا نص حجة الوقف "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما حبست فضل مولاة أبي أيوب أحمد بن محمد رحمها الله طلباً لثواب الله والدار الآخرة، رحم الله من قرأ فيها – أي الختمة- ودعا لصاحبتها وكتبته فضل بخطها في المحرم سنة 295/ 907م.

وفي اليمن وبالتحديد في أواخر الدولة الصليحية 439-532/1047-1137م تظهر السيدة الملكة أروى بنت أحمد الصليحي التي تصفها المصادر بأنها كانت على قدر كبير من رجاحة العقل وبعد النظر وقوة الإدراك حتى أنها كانت تلقب بـــ "بلقيس الصغرى". وقد شاركت زوجها المكرم بن علي في الحكم ثم زوجها اللاحق سبأ بن أحمد حيث استقلت بعدها في حكم هذه الدولة إلى أن توفيت عن 88 عاماً سنة 532/ 1137م.

ومن مآثرها في مجال الوقف أنها اهتمت بالثروة الحيوانية فأوقفت لها الأراضي الواسعة، ومنها مرعى حلبة السيدة في ضاحية مدينة (إب) ومساحتها مئات الفدانات، كما أوقفت الأرض ليصرف ريعها لشراء فحول الضراب، التلقيح. كما عمرت كثيراً من المساجد وأوقفت على إقامتها وصيانتها الأموال الكثيرة منها جامع ذي جلة الكبير والذي فيه قبرها.

ولكن الإسهام الأبرز لنساء اليمن نجده يظهر بشكل واضح في عهد الدولة الرسولية 616-858/ 1228-1454م التي تزامنت مع الدولة الأيوبية.

ومن خلال هذه الإطلالة على أبرز ما أوقفته المرأة خلال القرون الخمسة الأولى للهجرة، نلاحظ أن أبرز الواقفات هن من طبقة الحكام والأمراء على الأغلب، وهذا لا يعني إغفال أثر نساء الطبقة العامة وإنما الأمر يعود للمؤرخين، الذين نقلوا أعمال وإنجازات الحكام والأمراء ونسائهم وأغفلوا ما قامت به نساء العامة.

كما لاحظنا أن مراكز المدن هي التي تركزت فيها أوقاف النساء، وهذا أمر طبيعي لأن الواقف رجلاً كان أو امرأة يهدف دائماً إلى أن تصل المنفعة إلى أكبر عدد ممكن من فئات السكان.

---

[35] رقية بالمقدم، أوقاف مكناس، ص 82.

وفي عهد الخلافة العثمانية: اشتهرت أوقاف خاصكي سلطان[36] زوجة السلطان سليمان القانوني، خصوصا في مدينة القدس، فقد أوقفت مسجدا في البلدة القديمة من مدينة القدس في عقبة المفتي فكان النص على ما يأتي: (فأنشأت أنواعا من بقاع الخيرات وأبنية الحسنات البهية... فمن جملة ذلك المسجد الشريف الرفيع الطاق والمعهد المنيف المنيع الرواق الذي بنته لمرضاة الملك الإله وأسست بنيانه على تقوى الله في محلة الست من محلات بلدة القدس المبارك)، ووقفت على المسجد وقوفات متعددة من أرض وعقارات وضياع وقرى في فلسطين بخاصة، وبلاد الشام بعامة[37].

وقفية فاطمة خاتون: أنشأت المحسنة خاتون جامعا في مدينة جنين بفلسطين فقد ورد في نص الوقفية: (...وأن يكون للجامع الكائن في جنين – إنشاء الموكلة المشار إليها – خطيب حسن الصوت)، وأنها خصصت رواتب وأعطيات لتعيين خطيب وأئمة من ريع الوقفيات، وكانت فاطمة خاتون تشجع على تلاوة القرآن الكريم وحفظه، وذلك بتخصيص إكراميات نقدية للمحفظين وللقارئين..[38].

فهذه الأمثلة، تظهر أن الإسهام في الأوقاف لم ينحصر في الرجال، بل أسهمت فيه النساء إسهامات ذات شأن، كما أن الإسهام فيه كان من الأوساط الشعبية، ومن الأوساط السلطانية على حد سواء. والوقف على المساجد يشمل أرضها وبناءها وفرشها، كما يشمل ملحقاتها من كتاتيب قرآنية وخزانات وأماكن الوضوء، وأحياناً سكنى الإمام، ويشمل أوقافاً يخصص ريعها لنفقات التعمير والتسيير، يدخل فيها أجور القيّمين، كالمؤذن والإمام والخطيب.

المحور الثاني: نماذج لمساهمة المرأة في وقف المدارس والمكتبات

أولا: وقف المدارس

لا يختلف اثنان في أهمية إنشاء المدارس للتعليم الذي أمر به الإسلام، وأدرك المسلمون ذلك وأنهم يتحملون تلك المسؤولية مع الدولة، وحيث أن شريحة من المجتمعات في العادة غير

---

[36] خاصكي خاتون: كان أسمها روكسلانة، من أصل روسي، سبق أن أسرها التتار وباعوها في استانبول، واشتراها جماعة السلطان العثماني وسموعا باسم (خرم) أي: الضاحكة المرحة، كانت مشهورة في العزف والغناء، وعند عرضها على السلطان سليمان القانوني لسماع غنائها أعجب بها وتزوج منها، وأطلق عليها اسم خاصكي سلطان، انظر: الفصل في تاريخ القدس 266/1، وكتاب وثائق مقدسية تاريخية 1/ 125) نقلا عن: عكرمة سعبد صبري، الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ص 432.

[37] عكرمة سعيد صبري، الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ص 432.

[38] انظر المصدر السابق ص 434.

قادرة، فاستلهموا من دعوة الإسلام للعلم، وحث الرسول ﷺ على البر ومنها (أو علم ينتفع به) فقاموا على وقف المدارس التي انتجت العلماء، والتي شجعت على الرحلة في طلب العلم.

الواقفات على المدارس والمستشفيات التعليمية:

وفيما يتعلق بالتعليم نجد أن مشاركة النساء في إنشاء المدارس كانت أوسع، حيث اشتهرت في أرجاء العالم الإسلامي الكثير من المدارس التي أنشأتها زوجات الخلفاء والحكام والأمراء وبناتهم مثل:

المدرسة البشيرية: في بغداد التي بنتها زوجة الخليفة العباسي المستعصم.

والمدرسة المعتصمية: في بغداد التي أنشأتها شمس الضحى حفيدة صلاح الدين الأيوبي .

والمدرسة الشامية البرانية: والمدرسة الشامية الجوانية التي أنشأتها في دمشق ست الشام أخت صلاح الدين الأيوبي وغيرها.

كذلك أم الخليفة المقتدر (ت321/942م)، التي افتتحت المستشفى الذي أوقفته عام 306/ 918م، في منطقة سوق يحيى على نهر دجلة في بغداد، وعين فيه أطباء يشرف عليهم سنان بن ثابت، وبلغت نفقات هذا المستشفى في الشهر 600 دينار، وهذا ما دفع الخليفة نفسه المقتدر إلى بناء مستشفى يحمل اسم المقتدري في منطقة باب الشام.

أما أشهر الواقفات والتي نصادف اسمها في أغلب المصادر، فهي **الجارية بنفشا** (ت598/1201م) جارية الخليفة العباسي المستضيء (ت 575/1179م) وقد كانت ذات حظوة عند الخليفة وتتمتع بنفوذ قوي، كما أنها أسهمت في إدارة الدولة، فقد أمرت عام 570/ 1174م بنصب جسر من الحديد وكتب اسمها على حديدة من سلسلة وجعل تحت الرقة، ونقلت الجسر العتيق إلى نهر عيسى فوجد الناس راحة عظيمة بوجود الجسرين. فهي واقفة المدرسة الشاطئية، وكانت مباني المدرسة في الأصل داراً لنظام الدين أبي نصر المظفر بن جهير وزير المقتفي بأمر الله، وكان افتتاح المدرسة قد جرى في سنة 570/ 1174م، وحضر افتتاحها قاضي القضاة وفقهاء بغداد وعدد كبير من الناس وفوض التدريس فيها إلى ابن الجوزي (ت 597/1200م) عالم بغداد الشهير وأوقفت عليها وقوفاً داراً.

وقد كتب على حائط هذه المدرسة "وقفت هذه المدرسة الميمونة الجهة المعظمة الرحيمة بدار الرواشتي في أيام سيدنا ومولانا الإمام المستضيء، بأمر أمير المؤمنين على أصحاب الإمام أحمد بن حنبل، وفوضت التدريس بها إلى ناصر السنة أبي الفتح بن الجوزي".

وأوقفت كذلك الرباط المشهور المسمى باسمها في بغداد "رباط بنفشا".

ومن الواقفات الشهيرات أيضاً جميلة بنت ناصر الدولة الحسن بن عبد الله الحمداني كانت من أجمل الناس عقلاً وجمالاً. وقيل أنها لم تتزوج لشهامة عندها حتى لا يحكم عليها أحد من

الرجال. وقد كانت من ألمع نساء عصرها في القرن الرابع الهجري على صعيد السياسة، والإدارة، وقدأسهمت في حياة أبيها وأخيها أب ي تغلب إسهام اً كبير اً (ت 369/ 979م). ويذكر أنها أوقفت على جامع النبي يونس في الموصل أوقافاً جليلة.

وفي الموصل كذلك **زمرد بنت جاولي** صاحب مدينة الموصل، تزوجها تاج الملك بوري بن طغتكين صاحب مدينة دمشق وأصدقها أربعين ألف دينار وتحف، وأبرز ما يذكر لها المدرسة التي بنتها بظاهر دمشق سنة 524/ 1129م، وأوقفت لها أوقافاً كثيرة.

أما أوقاف النساء في بلاد الشام : وقفية بابه خاتون على المدرسة العادلية في دمشق ، فقد شهدت دمشق خلال العهد الأيوبي (570 - 658هـ/1174-1260م) طفرة كبيرة في إنشاء المدارس التي لا يزال بعضها شامخاً في دمشق القديمة كالمدرسة العادلية الكبرى، التي بدأ بناءها الملك العادل في 612هـ/1215م وأتمها ابنه الملك المعظم عيسى في 616هـ/1219م ونقل إليها رفات الملك العادل.

وما يلاحظ مع هذه الطفرة في بناء المدارس خلال الحكم الأيوبي بروز مشاركة غير مسبوقة للنساء في هذا المجال، حيث لدينا حوالى عشر مدارس أسستها نساء من الطبقة الحاكمة الجديدة. ولاحظ هذا في دمشق بالذات الرحالة ابن جبير حيث قال: "ومن النساء الخواتين ذوات الاقدار من تأمر ببناء مسجد أو رباط أو مدرسة وتنفق فيها الاموال الواسعة و تعين من مالها الاوقاف"، ولكن المفارقة هنا تكمن في أن في الوقت الذي حرص الواقفون على منع النساء من دخول المدارس التي شيدوها نجد ان النساء تقبل بشكل كبير على بناء المدارس التي ساهمت في نهضة علمية جديدة في دمشق خلال تلك المرحلة.

ولكن في المقابل نجد أن **أميرات الأسرة الايوبية**، التي عرفت بحب العلم ورعاية العلماء، قد سابقت الرجال في بناء المدارس خلال القرنين السادس والسابع للهجرة/ الثاني والثالث عشر للميلاد، وبالتحديد ابتداء من المدرسة الخاتونية التي أسستها خاتون بنت معين الدين زوجة صلاح الدين الأيوبي وحتى المدرسة العادلية الصغرى التي كانت في الاصل داراً **لزهرة خاتون** بنت الملك العادل ثم ملّكتها لابنة عم أبيها بابه خاتون بنت أسد الدين شيركوه، والتي قامت أخيراً بوقفها على زهرة خاتون في 655هـ/1257م، وشيدت هذه المدرسة داخل باب الفرج بدمشق، وبقيت تقوم ب وظيفتها حتى مطلع القرن ، وقد تؤكد الوقفية الطابع الشافعي للمدرسة، ويدرس فيها طلاب أو «متفقهون» يقسمون الى ثلاث طبقات بحسب مستواهم الدراسي، فضلاً عن عشرين يتيماً يشرف عليهم «مؤدب الأيتام». و فضلاً عن المدرس

والمؤدب لدينا المعيد، ثم لدينا قراء القرآن الكريم (8 قراء يقرؤون في النهار و 8 في الليل) والى جانب هؤلاء لدينا المؤذن والفراش والبواب أيضاً[39].

من الواقفات **ست الشام بنت أيوب بن شادي** المتوفاة سنة 614هـ/ 1217م كانت من أكثر النساء صدقة وإحسانا إلى الفقراء، ومن أشهر ما وقفته المدرسة الشامية البرانية، والمدرسة الشامية الجوانية، وكلاهما في دمشق وقد استفاد من هاتين المدرستين كثير من طلاب العلم الذين درسوا فيهما، كما درس فيهما أعلام من أبرز علماء الإسلام[(40)].

وفي اليمن. فقد برز أثر المرأة جليا في هذا الجانب، واشتهرت الدار الشمسي(ت 695هـ/ 1296م) ابنة السلطان الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول بحب الخير فكانت ذات صدقة ومعروف، ومآثرها كثيرة منها المدرسة المعروفة بالشمسية بذي عدينة من مدينة تعز، لها وقف جيد على إمام ومؤذن وقيم ومدرس وطلبة ومعلم وأيتام يتعلمون القرآن، وابتنت مدرسة في زبيد معروفة بالشمسية أيضا؛ أوقفت عليها أيضا وقفاً جيداً بكفاية المرتبين فيها[(41)].

ومنهن أيضاً مريم (ت 713هـ/ 1313م) ابنة الشيخ الشمس بن العفيف وكانت زوجة السلطان الملك المظفر من ملوك الدولة الرسولية في اليمن، التي بنت مدرسة في زبيد تعرف بالسابقية ومدرسة مريم كانت من أحسن المدارس وضعاً، رتبت فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاما يتعلمون القر آن، ومدرسا للفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ومعيداً وطلبة وأوقفت على الجميع وقفاً جيداً يقوم بكفايتهم، كما بنت مدرسة أخرى في تعز وقفت عليها وقفاً جيداً[(42)].

---

[39] انظر: ابن شداد في الاعلاق الخطيرة وأبو شامة في ذيل الروضتين، كما أورد النعيمي في الدارس في أخبار المدارس نتفة من وقفية الأميرة زهرة خاتون على هذه المدرسة التي تعود إلى رمضان 655هـ/أيلول 1257م.

[40] عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774هـ / 1372م)/ البداية والنهاية. ط 2 بيروت: مكتبة المعارف، 1977م، وعبد القادر بن محمد التميمي الدمشقي (ت 927هـ/ 1521م) الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسيني، القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية، 1988م, 1/277-302.

[41] محمد بن الحسن الخزرجي ، كتاب العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية تحقيق محمد بسيوني عسل ، القاهرة: مطبعة الهلال، 1329هـ/1911م، 1/293.

[42] المصدر السابق، 8/ 408.

كما أسهمت نبيلة (ت718هـ/ 1318م) وهي ابنة الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن رسول ببناء مدرسة في زبيد عرفت بالاشرفية وقفت عليها أوقافاً تقوم بكفاية العاملين فيها[43].

ومن اللواتي أوقفن للمدارس **أم هولاكو**: ونتيجة لولع المسلمين بالتعليم واهتمامهم به نشاهد حتى الغزاة الذين دمروا العالم الإسلامي، وحرقوا المكتبات والكتب والمدارس، نجدهم بعد اعتناقهم للإسلام بمدة قصيرة جدا ابتدؤا في إيقاف الأموال على تشييد المدارس والانفاق عليها مباشرة، ففي بخارى أنشأت أم هولاكو بعد إسلامها مدرستين، إذ أوقفت عليها الأموال لبنائها وللإنفاق عليها على طلبتها الذين بلغوا ألفا لكل منهما. كما أوقفت على كل مدرسة مكتبة رائعة وجلبت لها الكتب المتبقية من باقي ديار الإسلام التي وقعت تحت السيطرة المغولية[44].

وقف المستشفيات التعليمية:

وعرف في النساء وقف المستشفيات ومنهن أم الخليفة المقتدر (ت321?/942م)، التي افتتحت مستشفى عام 306/ 918م في منطقة سوق يحيى على نهر دجلة في بغداد وأوقفته، وعين فيه أطباء يشرف عليهم سنان بن ثابت، وبلغت نفقات هذا المستشفى في الشهر 600 دينار، وهذا ما دفع الخليفة نفسه المقتدر إلى بناء مستشفى يحمل اسم المقتدري في منطقة باب الشام.

وعرف في زمن الدولة العثمانية الوقف على المستشفيات التعليمية من باب اهتمامهم بالطب والعلم، لتخريج الأطباء الذين يجمعون بين الدراسات النظرية مع الدراسات السريرية التطبيقية. ومن هذا النوع أوقفت خاصكي سلطان زوجة سليمان القانوني مستشفى من أموالها الخاصة مع وقف العديد من المحلات التجارية للإنفاق عليه، وقد احتوى على مدرسة للطب، وألحقتها بالمستشفى الموقوف من قبل زوجها والذي أوقف مع كلية أخرى للطب في سنة 963هـ.

وقد بلغ من ورع النساء في عائلة السلاطين العثمانيين أن الكثير منهن أوقفن الوقوف على إنشاء مستشفيات جديدة، أو الإنفاق على كليات الطب والخدمات الطبية لمستشفيات قائمة، وأصبح ذلك تقليدا متبعا عند هذه الأسرة الحاكمة، اقتداء كما عملت به أمهات الخلفاء العباسيين وزوجاتهم في إيقاف المستشفيات. فقد أوقفت والدة السلطان مراد الثالث ووالدة السلطان عبد المجيد، والسلطانة حفيظة والسلطانة توربانة التي بقي مستشفاها وجهازه التعليمي يعمل حتى سنة 1927م عندما ألغى كمال أتاتورك الأوقاف الإسلامية وحوّل هذا المستشفى

---

[43] المصدر السابق 1 / 429 – 430

[44] دائرة المعارف الإسلامية المختصرة، تحرير سير هاملتون جب، وكريمر، ص 302. نقلا عن عبد الملك أحمد السيد، الوقف الإسلامي والدور الذي لعبه في النمو الاجتماعي في الإسلام، ص 259، ضمن بحوث وقائع ندوة إدارة وتثمير ممتلكات الأوقاف.

العظيم إلى مخازن للتبغ[45].

ثانيا: وقف المكتبات

تعود مشروعية وقف المكتبات إلى مشروعية وقف الأموال المنقولة، باعتبار أن المكتبات هي من الأموال المنقولة، والتي جاءت الأدلة على مشروعيتها، منها ما روي عن الصحابي عمرو بن الحارث بن المصطلق رضي الله عنهما أنه قال: ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضا جعلها صدقة"[46].

كما روى أبو هريرة ﷺ قال: بعث رسول الله ﷺ عمر على الصدقة، وفيه يقول عليه الصلاة والسلام: "وأما خالد فقد احتبس أدراعه وأعتاده في سبيل الله" [47]، فهذا الحديث يمثل إقرارا من الرسول ﷺ لوقف خالد، وفي الحديث أيضا دلالة على جواز وقف الأموال المنقولة، كالمخطوطات والكتب والأسلحة وغيرها كجواز وقف الأموال غير المنقولة، وفي ضوء ذلك انتشرت المكتبات كما انتشرت المدارس في أرجاء العالم الإسلامي.

المكتبات الوقفية الملحقة بالمدارس.

من المعروف أنه مع إنشاء المدارس ووقفـها يذكر دائماً إنشاء المكتبات ووقفـها، وفي هذا الإطار تبرزِ بعض النماذج المهمة في هذا السياق ومنها:

مكتبة المدرسة البشيرية التي أنشأتها **زوجة الخليفة المستعصم بالله العباسي** أم ولده أبي نصر المعروفة بباب بشير، والتي افتتحت سنة 654هـ فأوقفت عليها الكتب والأموال، وكانت كتبها تعار خارج أسوار الجامعة لقاء رهن للحفاظ على الكتب وضمان إعادتها مثلما جرى عليه العمل في المكتبات الخاصة بالمدارس الأخرى [48]. وجعلت المدرسة للمذاهب الأربعة ووقفت عليها خزانة كتب تفرقت بدداً لا يعرف منها غير المجلد الخامس من تفسير القرآن المسمى العيون والنكت للماوردي وهو ضمن خزانة آل باش أعيان العباسي في البصرة، وعلى ظهر أول صحيفة منه وقفية جاء في أولها:"هذا ما وقفه وتصدق به الجهة الشريفة المكرمة المقدسة الزكية المعظمة السيدة الكبيرة الرضية الأمينة جهة سيدنا ومولانا

---

[45] دائرة المعارف الإسلامية، 1225/1، انظر: عبد الملك السيد، ص 286.

[46] البخاري، كتاب الوصايا، باب الوصايا وقول النبي ﷺ وصية الرجل مكتوبة عنده..، رقم (2588)، 1005/3، وكتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته وقول الله: "إنك ميت وإنهم ميتون..رقم (4192)، 1619/4، ومسلم، كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شئ يوصي فيه، رقم (1635)، 1256/3.

[47] مسلم، كتاب الزكاة، باب في تقديم الزكاة ومنعها، رقم (983) 676/2.

[48] ناجي معروف، أصالة الحضارة العربية، ص 461، وعبد الملك السيد، الوقف الإسلامي والدور الذي لعبه في النمو الاجتماعي في الإسلام، ص 242، ضمن بحوث وقائع ندوة إدارة وتثمير ممتلكات الأوقاف.

الإمام المفترض الطاعة على جميع الأنام أبي أحمد عبد الله المستعصم بالله أمير المؤمنين ، وأمرت أن تكون بالمدرسة الميمونة التي أمرت بإنشائها..."[49].

ومن اللاتي وقفن كتباً **فاطمة بنت حمد الفضيلي** الحنبلي الزبيرية المعروفة بالشيخة الفضيلية، ولدت في الزبير قبل عام 1200هـ/ 1786م، ونشأت بها وقرأت على شيوخها، وكانت لها عناية بجمع الكتب مما مكّنها من جمع كتب كثيرة في شتى الفنون، ثم تركت بلدتها الزبير وأقامت في مكة المكرمة، وحظيت بمكانة كبيرة بين علمائها، ولعل من أهم مآثرها أنها وقفت جميع كتبها على طلبة العلم من الحنابلة ، وجعلت الناظر أحد معارفها وهو من بلدة الزبير الشيخ محمد الهديبي، وظلت الكتب لديه إلى أن قرر الانتقال إلى المدينة، فتورع عن إخراجها من مكة فتركها عند خادمتها شائعة بنت النجار وأولادها ، ثم أرادت شائعة الخروج أيضا إلى المدينة فأشير عليها بأن تبقي الكتب الموقوفة في مكة ، إلا أن أولادها قالوا إن الواقفة لم تشترط ذلك فأخذوها معهم، وبعد وفاتهم تفرقت تلك الكتب، وكانت فاطمة الزبيرية قد توفيت في مكة المكرمة سنة 1247هـ/ 1831م[50] ولاشك إنها تعد أنموذجا من نماذج المرأة المعطاء التي أسهمت بإشاعة العلم ونشره بالتدريس ومن خلال إتاحة الكتب لطلاب العلم.

ومن اللاتي وقفن كتباً **أم الناصر لدين الله العباسي** التي أوقفت مكتبة، ففي الخبر عن أهمية هذه المكتبات في نشر الثقافة بين جميع طبقات المجتمع، أن أبا الفرج عبد الرحمن بن محمد بن ياسر البغدادي ت 597هـ أجاز بواب المكتبة التي أوقفتها أم الناصر لدين الله العباسي لما أصبح عالم هذه المكتبة، وأجاز ابن الدبيثي الواسطي المؤرخ العراقي الشهير، كما أجاز زكي الدين عبد العظيم المنذري وهو أحد مؤرخي مصر المعروفين! أما بواب الكلية أحمد بن أبي بكر بن علي، فقد ارتقى ليصبح من فضلاء علماء دمشق إذ قد كتب تاريخ ابن كثير وزاد عليه زيادات موسعة[51].

واشتهرت الربط والزوايا بوجود المكتبات، ومن أشهرها رباط الزوزني قرب جامع المنصور في بغداد، إذ حوى هذا الرباط مكتبة ضخمة موقوفة، وشاركت النساء بهذا النوع من الوقوف فقد أوقفت السيدة نفسها **زمرد خاتون أم الخليفة الناصر لدين الله** الوقوف على مكتب الربط المأمونية، وكذلك أوقفت **زوجة الناصر** مكتبة ضخمة أخرى في رباط أنشأته لأصحاب الفتوة

---

49 يحيى محمود بن جنيد (الساعاتي)، الوقف وبنية المكتبة العربية استنباط للموروث الثقافي، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسـات الإسلامية، 1408هـ /1988م، ص84.

50 عبد الله مرداد أبو الخير (ت 1343هـ/ 1924م) / المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة، اختصار وترتيب وتحقيق محمد سعيد العامودي و أحمد علي، ط 2 جدة: عالم المعرفة، 1406هـ – 1986م، ص 387 – 388.

51 ناجي معروف، إصالة حضارتنا العربية، ص 355.

والمجاهدين[52]. ومنها: **وقف السيدة فاطمة الحاضنة** في القرن الخامس الهجري لمجموعة من المؤلفات النفيسة على جامع عقبة بن نافع بالقيروان، التي مايزال بعضها موجوداً حتى الآن في مكتبة الجامع.

الواقفات في فلسطين للمدارس:

من الأوقاف المعروفة المدرسة الخاتونية: وقفتها السيدة آغل خاتون بنت شمس الدين محمد الفازانية البغدادية، وهي تركية الأصل، وكان تاريخ الوقفية سنة 755هـ/ 1354م، وتقع المدرسة ملاصقة لدوواوين المسجد الأقصى من الجهة الغربية[53].

وهناك الواقفات للأملاك بوقف ريعها في الإنفاق على المدارس وطلبة العلم فمن ذلك:

في العصر الحديث وقفت جميلة هانم، كريمة الخديوي إسماعيل ووالدتها نورجهان في الخامس عشر من ربيع الثاني 1330هـ - 1902م الأراضي العشورية وإخراجية التي مساحتها ألف وأربعمائة وتسعة وثمانين فدانا، وثلاثة وعشرين قيراطا من فدان، نواحي قمن العروس وبني غنيم وكوم أدريجة والميمون بمديرية بني يوسف، وقد خصصت الواقفتان من ريع هذا الوقف جانبا كبيرا للعلماء والطلبة بالأزهر، كان يوزع عليهم في صورة جراية[54].

الأوقاف النسائية في مصر لخدمة الجامعات:

من الأوقاف المعروفة في القرن العشرين وقف **فاطمة ابنة الخديوي إسماعيل** التي خصصته لبناء جامعة القاهرة العريقة؛ وهي من الجامعات الحديثة تأسست سنة 1908م، وبلغت أوقافها 1028 فدانا سنة 1914م، وكان وقف الأميرة فاطمة إسماعيل هو الأكبر من بينها 647 فدانا، إضافة إلى عقارات ومصوغات أخرى وقفتها للغرض نفسه[55] وتأتي جامعة القاهرة أحد أهمِّ النَّماذج في العصْر الحديث على ما قدَّمه الوقف الإسلامي من خدمة جليلة في مجال التعليم؛ إذ يعود الفضل الأكبر في وجود مقرٍّ ثابت لهذه الجامعة إلى وقف الأميرة فاطمة بنت الخديوي إسماعيل، الَّتي بمجرَّد أن علِمَت من طبيبها الخاص بأنَّ هناك مشاكل ماليَّة تُواجِه الجامعة بما يهدِّد المشروع بالفناء، سارعت بالتدخُّل حتَّى تضمن لها البقاء، حيث كانت الجامعة في ذلك الوقت لا تملك مقرًّا ثابتًا يتلقَّى فيه طلابها علومهم، حتَّى إنَّها كانت تنفق 400 جنيه مصريًّا سنويًّا – وهو مبلغ ضخم بتقدير ذلك الوقت – على إيجار مبنى الخواجة "جناكليس"– مبنى الجامعة الأمريكيَّة الحالي بالقاهرة – لتعلن الأميرة تنازلها للجامعة عن

---

[52] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، بيروت، دار صادر، 1964م. نقلا عن: إدارة وتثمير ممتلكات الآوقاف، 278.

[53] المصدر السابق، ص 446-447.

[54] أبو دينا، عبد المنعم صبحي أبو شعيشع، نظام الوقف في الإسلام، ص 92 نقلا عن سجلات رسمية.

[55] انظر: ابراهيم البيومي غانم، ص 263- 267، وبحثه 143.

مساحة ستة أفدنة ليُبنى عليها حرمُها، إلى جانب وقفها ريع 3357 فدَّانًا و 14 قيراطًا و 14 سهمًا من أجود الأراضي الزِّراعية في مديريَّة الدقهلية – شمال مصر– والذي بلغ حينئذ نحو 4000 جنيه سنويًّا، كانت تدخُل كلُّها في إطار ميزانيَّة الجامعة، وهو ما ضمِن لها دخلاً مستقرًّا وثابتًا ضمن لها الاستمرار.

وقف السيدة نفيسة : فقد وقفت السيدة نفيسة وقفا خيريا على الأزهر، والذي تولاه الشيخ إسماعيل الحامد المالكي، من أهل الإفادة والتدريس، وشيخ رواق الصعايدة بالأزهر، وقد خصص جزء من موارد هذا الوقف لعمارة المساجد والأضرحة، كما خصص جزء آخر من موارد هذا الوقف في شراء كميات من الخبز، لتوزع على عشرة طلاب من طلاب الصعايدة نظير قراءة أجزاء من القرآن في صباح كل يوم، كما خصص جزء ثالث من موارد هذا الوقف لشيخ رواق الصعايدة نظير ملاحظته وإشرافه على الطلبة الذي يقرأون القرآن الكريم طبقا لشروط هذا الوقف.

وقف السيدة فاطمة علي أغا بيكاشي مساحة قدرها ثمانية أفدنة من الأطيان الزراعية بناحية تزمنت الزاويا بمديرية بني سويف، لينفق ريعها على الكتاب الكائن بالقرية[56].

الأوقاف النسائية بمصر لخدمة المدارس:

أما الأوقاف على المدارس فمنها: **وقف السيدة فهيمة محمد بك** التي قامت بوقف ثمانية وتسعين فدانا، وقيراطا واحدا، وستة عشر سهما، من الأطيان الزراعية بناحية منهرة بمديرية بني سويف، وقد جعلته الواقفة على نفسها في حياتها ثم من بعد مماتها، وشرطت الواقفة أن يبنى من ريع هذا الوقف مدرسة للتعليم وتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم مبادئ القراءة والكتابة والحساب، بناحية منهرة بمديرية بني سويف التي بها أعيان الوقف، كما شرطت الواقفة أن يعطى من ريع هذا الوقف رواتب المعلمين الذين يقومون بالتعليم في هذه المدرسة، كذلك شرطت أن ينفق من ريع هذا الوقف على شراء الأدوات المدرسية، والإصلاحات التي تحتاج إليها هذه المدرسة لأجل أن تعد للتعليم على الدوام دون انقطاع[57].

ومنها: **وقف السيدة فريدة هانم بنت عبد الله** التي قامت بوقف أرض وبناء المنزلين الكائنين بشارع البحر الأعظم بمديرية المنيا، وكذلك قامت بوقف جميع الأطيان التي مساحتها اثنان وسبعون فدانا وسبعة قراريط، وثمانية أسهم وما اشتملت عليه هذه الأطيان من الأشجار والنخيل الكائنة بنواحي مديرية المنيا، وقد خصصت الواقفة أحد المنزلين، وهو المعروف

---

56 حسين حسان، دور الوقف في تنمية المجتمع دراسة تاريخية وثائقية، ص 49، نقلا عن سجلات وزارة الأوقاف.

57 المصدر السابق، ص 175–178، وأبو دينا عبد المنعم، ص 124– 125.

بالمنزل الغربي وجعلته مدرسة لتعليم الفقراء من أولاد المسلميم مجانا... وخصصت خمسة عشر فدانا ينفق ريعها إلى ما تحتاج إليه من هذه المدرسة من الأدوات التعليمية، وشرطت أن يعطى من ريع هذه الأطيان رواتب المعلمين والمدرسين والعاملين لها بالرعاية مما يجعلها عامرة ومعدة للتعليم على الدوام[58].

ومنها أيضاً: **وقف السيدة حنيفة هانم السلحدار**، فقد قامت بوقف ألف وسبعمائة وثمانية عشر فدانا، وأربعة عشر قيراطا وثمانية عشر سهما، الكائنة بمديريتي جرجا- في ذلك الوقف وأسيوط لدعم المدارس بالقاهرة.

وتجلت أروع أنواع الوقف في اجتماعها على تلبية أكثر من مصلحة كحفظ النسل والعقل بالتعليم، للفقراء وغير القادرين من الذكور والإناث على الزواج والتعليم، وعلى سبيل المثال: وقف دلبرون هانم شكري على المدرسة التي أنشأتها سنة 1923م، ووقفت عليها (120) فداناً لتعليم البنات الفقيرات، واشترطت الواقفة أن يصرف من الريع "إعانة من المال لكل بنت بائسة أتمت مقرر الدراسة، مساعدة لها وترغيبا في تزويجها"[59].

وشرطت الأميرة فاطمة إسماعيل في وقفها على مدرسة أنشأتها لتعليم أبناء وبنات الفقراء أن "كل من تزوجت من التلميذات المذكورات يصرف لها من ريع الحصة المذكورة عشرون جنيها مصريا، مساعدة لها على مهرها، لتكمل بهذا المبلغ ما تحتاجه لجهازها"[60].

أوقاف المكتبات في فلسطين:

فمن أمثلة ذلك في وقف النساء للمكتبات: وقفية المكتبة الخالدية: تقع هذه المكتبة في مبنى أثري قديم هو تربة بركة خان في حي باب السلسلة في البلدة القديمة من مدينة القدس، والمبنى الآن هو وقف لآل الخالدي، أما المكتبة فقد وقفها الشيخ راغب الخالدي لينتفع بها طلاب العلم، وكانت والدته خديجة بنت السيد موسى الخالدي قد أوصت بمبلغ من المال لأعمال البر، فأقنعها ابنها الحاج راغب أن تؤسس بهذا المال معهدا يستوعب المكتبة التي فتحت رسميا سنة 1317هـ/ 1900م لجمهور المطالعين، وجرى الاتفاق بين أفراد عائلة الخالدي بأن الذي يتوفى من أفراد العائلة تنقل كتبه إلى المكتبة الخالدية، وكان عدد الكتب في هذه المكتبة حين افتتاحها 1318 كتابا، ثم توسعت شيئا فشيئا ففي سنة 1928م بلغ عدد مجلداتها نحو أربعة

---

[58] انظر: حسين حسان، دور الوقف في تنمية المجتمع، ص 76-81.

[59] حجية وقف دلبرن هانم شكري في 27 شوال 1341هـ 2/6/ 1923م (سجلات وزارة الأوقاف سجل 49 مصر- سلسلة 5242)، نقلا عن كتاب الوقف ودوره في النهوض الحضاري لمجموعة باحثين، ص 141.

[60] ابراهيم البيومي غانم، الأوقاف والسياسة في مصر الحديثة، ص 248، وإشارة له ضمن بحث للمؤلف في كتاب الوقف ودوره في النهوض الحضاري بعنوان: الأبعاد الإنسانية والدولية لنظام الوقف الإسلامي، تجارب تاريخية ونماذج تطبيقية، ص 141.

آلاف كتاب ومخطوطة، وكان ثلثا هذه الكتب من المخطوطات،...وبلغت عدد الكتب والمخطوطات في 1945م اثني عشر ألفا باللغة العربية وباللغات الأخرى: الإنجليزية والفرنسية والفارسية والتركية. وقد تعرضت المكتبة للتلف والنهب بسبب النكبات التي حصلت في فلسطين ونقص عدد ما فيها ولا زالت تستقبل الباحثين والطلاب.

أما مكتبة الشيخ خليل الخالدي فقد حوت نوادر الكتب والمخطوطات التي جمعها من كل البلاد الإسلامية، فلما توفي سنة 1941م، ورثت شقيقته أمينة بنت بدر الخالدي نصيبها منها نصف المكتبة، فقامت بإيقاف حصتها من المكتبة تبعا لوقفيتها وبقيت المكتبة في نفس المكان، وفي سنة 1953م، قامت بعثة جامعة الدول العربية بتصوير محتويات مكتبة الشيخ الخالدي، وقامت لجنة مكلفة من المحكمة الشرعية بالقدس سنة 1956م بجرد محتويات المكتبة وتبين أنها تضم 3522 كتابتا، وتعرضت للتلف في 1967م وضاع قسم كبير منها ونقل ما تبقى إلى مكتبة المسجد الأقصى[61].

أوقاف النساء في نجد:

أما مشاركة النساء في وقف الكتب فقد كانت مساهمة فعالة لنشر العلم، وقد جمعت الباحثة دلال عبد العزيز وقفيات النساء المتناثرة في الوثائق في بحث متميز موثق أذكر منها:

وقفية كتاب القواعد وتحرير الفوائد لابن رجب الحنبلي الذي وقفته **أم علي بن عشري** عام 1247هـ/ 1831م ونص الوقفية هو"بسم الله الرحمن الرحيم قد وقفت وحبست المرأة الصالحة التقية المكرمة أم الشيخ علي بن عشري هذا الكتاب على علماء الحنابلة وجعلت الناظر على ذلك عبد الله بن حمد إلا إن عاش الشيخ علي بن صالح فهو أحق به حرر سنة 1247هـ في جمادى الأولى، كتبه وشهد به عبد الله بن حمد"[(62)].

والنسخة الموقوفة من هذا الكتاب يعود تاريخ نسخها إلى عام 861هـ/ 1457م ولا شك أن توفيرها لطلبة العلم في ذلك الزمن كان عملاً جليلاً لصعوبة الحصول على مثل هذا النوع من الكتب في منطقة نجد، وقد أشار ابن حميد إلى أم العشري ضمن ترجمته لعلي بن محمد الراشد ت1301هـ/ 1884م فقال "لما توفي الشيخ علي بن عبد الله ابن عيسى بن عشري أوقفت والدته كتبه وجعلت الشيخ علياً قيماً عليها"[(63)].

ونستنتج من النص السابق أن أم العشري وقفت كتباً أخرى غير كتاب الفوائد.

---

[61] انظر، عكرمة صبري، ص 452-454.

[62] نسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية وهي من مجموعة مكتبة الرياض السعودية، الشكل(3).

[63] محمد بن عبد الله بن حميد النجدي المكي (ت 1295هـ/ 1878م) / السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة تحقيق بكر عبد الله أبو زيد وعبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، مؤسسة الرسالة، بيروت 1416هـ/ 1996م، 27/1 .

ومن الواقفات الأخريات: **والدة علي بن محمد الراشد** السابق ذكره أشار إلى ذلك ابن حميد بقوله: "ومن الموقفات والدة علي بن محمد الراشد وهو من تلاميذ عبد الله بن عبد الرحمن البابطين تولى قضاء عنيزة ورحل إلى الزبير وقرأ على فقهائها ، وكان حريصاً على اقتناء الكتب فقد رأيت تملكه على كثير منها..."[64]. ويظهر النص أن والدة الراشد كانت من أسباب توجّه ابنها نحو العلم ولعلها هي التي غرست في داخله حبّ الكتب وبالتالي حب العلم والحرص على طلبه.

ومنهن أيضا **سارة بنت الشيخ علي بن محمد بن عبد الوهاب**، وهي من نساء القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي وسليلة بيت علم وفضل وقفت نسخة مزخرفة خزائنية نفيسة من الجزء الثالث من شرح صحيح مسلم لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي ولعلها وقفت غيره، وقد جاء نص الوقفية على هذا الكتاب كما يـــأتي: "وقفــت هذا المــجلد ســارة بنت الشيــخ علي وجــعلت [...] فيه تحت يد عبد الله [...] "[65].

وهناك وقفية أخرى نرجح أن تكون لسارة بنت علي بن محمد بن عبدالوهاب، ولا نجزم بذلك نظراً لوجود كشط بين كلمتي(بنت) و (الشيخ)، ونص الوقفيــة هو: "وقفت وحبست هذا الكتاب لله تعالى سارة بنت [...] الشيخ ﴿ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[66]. وجاء نص هذه الوقفية على كتاب الاستنباط للشيخ محمد بن عبد الوهاب[67]. ولو رغبنا في تحديد تاريخ هذه الوقفية فإننا نرجح أن تكون في منتصف القرن الثالث عشر الهجري استناداً على الفترة الزمنية التي عاشتها سارة[68].

وكان لمجموعة من **أميرات آل سعود** ونساء من اسر شهيرة أثر مميز في الوقف الخيري عن طريق توفير الكتب لطلبة العلم ومنهن: **نورة بنت الإمام فيصل بن تركي**، وأقدم وقفية رأيناها توضح دورهن ما دون على كتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين لمحمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية ونص ذلك كما يأتي: "بسم الله الرحمن الرحيم يعلم الناظر إليه والواقف عليه أن هذا الكتاب أوقفته لرجاء الأجر والثواب نورة بنت الإمام فيصل بن تركي على طلبة العلم من المسلمين لا يمنع منه المنتفع، أعظم الله لها الأجر في ذلك وتقبله وصلى الله على

---

64 السابق، 1/ 27.

65 نسخة محفوظة في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الشكل (4).

66 نسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية، الشكل (5).

67 المصدر السابق.

68 الحربي، دلال بنت مخلد، نساء شهيرات من نجد. الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 1419هـ، ص100 – 103.

محمد وعلى آله وصحبه وسلم 19 جمادى الأولى 1276هـ"[69]. كما وقفت في عام 1276هـ / 1860م نسخة من كتاب الروض المربع شرح زاد المستقنع لمنصور بن يونس البهوتي، ووقفت كتاباً آخر هو صحيح البخاري في مجلدين ، ووقفت أيضا نسخة من الأدب المفرد للإمام محمد بن إسماعيل البخاري وورد النص كما يأتي:"بسم الله الرحمن الرحيم، يعلم من يراه أن نورة بنت الإمام فيصل بن تركي حفظها الله تعالى أوقفت هذا الكتاب المبارك لوجه الله تعالى أوقفته طلباً للثواب من رب الأرباب وعملاً بحديث (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة، صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) ﴿ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة 181، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم سنة 1278"[70]. كما وقفت في عام 1283هـ / 1866م نسخة من كتاب إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية"[71].

وشاركتها في فعل الخير والحرص عليه عن طريق وقف الكتب عمتها **الجوهرة بنت الإمام تركي بن عبد الله آل سعود** فكان أن وقفت في عام 1281هـ/ 1864م نسخة من كتاب أقسام القرآن والكلام عليه لابن القيم"[72]. ووقفت أيضا نسخة من كتاب العلو للعلي في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي في السنة التي وقفت فيها الكتاب السابق"[73]. ووقفت الجوهرة أيضا كتابين لم يحدد عليهما تاريخ وقفهما أولهما رفع الملام عن الأئمة الإعلام لأحمد بن عبد الحليم بن تيميه [74].

ومن نساء الأسر الشهيرة في نجد اللاتي كان لهن إسهام ومشاركة في فعل الخير ودعم المجتمع عن طريق وقف الكتب حفيدة سليمان بن عبد الوهاب – شقيق الشيخ محمد بن عبد الوهاب – وهي **الجوهرة بنت عبد العزيز بن سليمان بن عبدالوهاب** إذ تسنى الاطلاع على وقفيتين لها الأولى في عام 1294 هـ / 1877م على نسخة من سنن أبى داود لسليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني[75]. أما الوقفية الأخرى فجاءت على نسخة من كتاب الإكمال في رفع عارض الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكُنَى والأنساب لمؤلفه ابن ماكولا

---

69 نسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية.الشكل (6)
70 نسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية.الشكل (8)
71 نسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية.الشكل (9)
72 نسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية.الشكل (10)
73 نسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية.الشكل (11)
74 نسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية.الشكل (12)
75 نسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية.الشكل (18)

أبى نصر علي بن هبة الله بن علي في عام 1295هـ/1878م [76]. وهناك أخريات من مناطق أخرى لا مجال لذكرهن[77].

وما ذكر نماذج فقط مما توافر لدي، ومن المؤكد هناك نساء كثيرات ساهمن بالوقف العلمي في كل البلاد الإسلامية.

ومن هنا يتضح لنا **أن تاريخ الوقف العلمي والتعليمي** بدأ من أوقاف المساجد ومرافقها، فألحقت المكتبات بها، ثم جاء التحبيس لها، ثم بدأت الحركة العلمية، مع النموّ والتطور والتخصص، تأخذ أشكالاً من الاستقلال والتميز عن المسجد ووظيفته الأساس، فجاءت ظاهرة المدارس التي تحوّل بعضها إلى مؤسسات علمية عليا (جامعات)، ومن أقدم الأمثلة لذلك المؤسسة العلمية والتعليمية (جامعة القرويين). فهي أقدم نموذج وأعظمه للإسهام العلمي والتعليمي للوقف، رأينا من قبل أن جامع القرويين يرجع بناؤه إلى أواسط القرن الثالث الهجري، إلا أن الأثر العلمي للقرويين لم يبرز بشكل واضح وصريح إلا في القرن السادس الهجري، وقد احتضن وشكّل النواة التي ترعرت وتحولت إلى جامعة القرويين، وذلك بفضل الثروات الحبسية التي خصصت لها ووضعت تحت تصرفها وفي خدمتها، وهكذا أمكنت تلك الأحباس المخصصة للقرويين في كل أنحاء المغرب، من تنمية مداخيلها وميزانيتها، فكثرت فيها الكراسي العلمية، وكثر فيها الطلبة المنتظمون الذين يتمتعون بالإقامة والمنح الدراسية. ونشأت ضمن القرويين وحواليها مدارس عديدة، تنافس في إقامتها وتجهيزها وتمويلها المحسنون المحبسون، وقد أصبحت هذه المراكز قبلة للطلبة من أنحاء العالم، وتخرج منها علماء كثيرون، كما أنها لم تقتصر على العلوم الإسلامية بل امتد التعليم ليشمل كل علوم العصر[78].

---

[76] نسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية.الشكل (19)

[77] انظر: الحربي، دلال بنت مخلد، إسهام المرأة في وقف الكتب في منطقة نجد، ص 29-40.

[78] انظر: القرويين: جامعاً وجامعةً، عبد الهادي التازي، ط. دار الكتاب اللبناني 1972م، 1/113، 3/115-116، 418 - 424.

الخاتمة: النتائج والتوصيات

توصل البحث للنتائج الآتية:

1- إن الأوقاف بصورة عامة بجميع أشكالها، وكذلك مما أوقفته النساء قائمة على تحقيق مصالح العباد بأنواعها لتحقيق مقصود الشرع لحفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسل، وهذا من عظمة الإسلام أن جعل في الأوقاف سعة اجتهادية جعلت الواقفين يساهمون في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والثقافية.

2- نستخلص من خلال هذا الموقف التاريخي بعد النظر في التجربة النسائية في الوقف الخيري، واستمرارية تفكير المرأة بعقلية الأمة ورقيها بالدين الإسلامي، كما أن المرأة المسلمة لم تكن تهتم بالشكليات، حيث عرف عن بنات بيوت العلم أنهن كن يصرفن حليهن التي يشتريها الأهل لهدايا الزواج، والأثاث المكون من المطرزات والفضيات، في اقتناء أوقاف في المسجد الأقصى لدعمه ورعايته ودعم طلبة العلم.

3- حركة الوقف العلمية والتعليمية، بدأت ضمن أوقاف المساجد ومرافقها، فكثير من المرافق كانت تشتمل على كتاتيب للتعليم الأولي ولتحفيظ القرآن الكريم، ثم جاءت فكرة المكتبات الملحقة بالمساجد، وجاءت بعد ذلك فكرة التحبيس لفائدة الكراسي العلمية المقامة ببعض المساجد الجامعة، وهكذا ولدت الحركة العلمية عند المسلمين داخل المساجد، واستفادت من أحباس المساجد، ثم من أحباس خاصة بها، لكن ضمن المؤسسة المسجدية.

4- كان للوقف العلمي أثر كبير في استقلالية التعليم، والعلماء والقضاة، سواء كان للمدارس أو غيرها، وكذلك في حرية التنقل والتأليف، و ساهمت هذه الأوقاف في نشر العلم، وتشجيع طلبته على مواصلة مسيرتهم العلمية وكانت علامة مميزة للحضارة الإسلامية.

5- إدراك المرأة المسلمة لأهمية الوقف العلمي في بناء المجتمع المسلم المنشود، وهو يدل على التأثير العقدي، من شعورها بالمسؤلية وأنها معنية بالإصلاح.

6- يلاحظ أن غالبية النساء الواقفات -عبر التاريخ- هن إما أمهات أو زوجات أو بنات للملوك والخلفاء الأمراء والعلماء الميسورين، أو من الجواري فيما مضى، ذلك لأن الوقف مرتبط بالاستطاعة المادية مع وجود الوقف من العامة كذلك.

7- الوقف العلمي بصورة عامة كان له أثر في التنمية الاجتماعية والاقتصادية، حيث راجت تجارة وسائل الكتابة والبحث، كما وفرت فرص عمل للوراقين وغيرهم.

التوصيات

لعل البعد الحضاري للتجربة النسائية يستدعي الاهتمام بإحياء رموز الحضارة الإسلامية من خلال إحياء رموزها النسائية، وإدخالها في المقررات التعليمية ليستعيد الإنسان المسلم ثقته بنفسه وبشخصيته الإسلامية وأبعادها وامتداداتها، ونظرا لأهمية الأمر وخطورته فقد عمل الاستعمار على طمس معالم هذه الهوية، مما يحتاج اليوم من مؤسسات الأمة القائمة على هذه الأمور أن تتحمل مسؤولياتها في النهوض بهذه الكنوز وإبرازها بتولي حركة النشر ودعم الباحثين والعلماء وتشجيع العالمات وتكريمهن وإبرازهن حتى يظهرن، ويبرز النموذج الحقيقي للمرأة المسلمة ويذهب الزبد الذي طفى على السطح في غياب الحقائق والنماذج الأصلية، وهذا يدعونا إلى إحياء مشروع الوقف مصحوبا بتوخي تقديم الأولويات مما له الحاجة الأكبر في المجتمعات الإسلامية.

المصادر

الأرناؤوط، محمد، **دور الوقف في المجتمعات الإسلامية**، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2000م.

أبو دينا، عبد المنعم صبحي أبو شعيشع، **نظام الوقف في الإسلام وأثره في الدعوة إلى الله** ، مصر- طنطا، دار الجامعة الجديدة، 2008م.

التازي، عبد الهادي، **القرويين: جامعا وجامعة**، ط بيروت: دار الكتاب اللبناني 1972م.

الحربي، دلال بنت مخلد، **إسهام المرأة في وقف الكتب في منطقة نجد** في القرنين 13 و 14 الهجريين، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 2001م.

حسين حسان، **دور الوقف في تنمية المجتمع دراسة تاريخية وثائقية** ، شبرا مصر، مطبعة الأمانة، 2000م.

رقية بلمقدم، **أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل** ، ط. وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية المغربية 1413هـ / 1993م.

الساعاتي، يحيى محمود بن جنيد ، **الوقف وبنية المكتبة العربية استنباط للموروث الثقافي** ، الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1408هـ /1988م.

سيف الدين عبد الفتاح اسماعيل وآخرين، **الوقف ودوره في النهوض الحضاري** ، الدمام، مركز الأمير عبد المحسن بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية، 2008م.

الصالح، محمد بن أحمد بن صالح، **الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع** ، الرياض، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، 1422هـ.

عبد الكريم زيدان، **المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم** ، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1992م.

عبد الله مرداد أبو الخير (ت 1343هـ/ 1924م) **المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة**، اختصار وترتيب وتحقيق محمد سعيد العامودي واحمد علي، ط 2، جده: عالم المعرفة، 1406هـ - 1986م.

عبد الملك أحمد السيد، **الوقف الإسلامي والدور الذي لعبه في النمو الاجتماعي في الإسلام** ، ضمن كتاب (إدارة وتثمير ممتلكات الأوقاف) وقائع الحلقة الدراسية التي عقدت من قبل المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب/ جدة، ط 2004م.

عكرمة سعيد صبري، **الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق**، عمان، دار النفائس، 2008م.

الكبيسي، محمد عبيد، أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، بغداد، ط وزارة الأوقاف، بغداد.

ناجي معروف، **أصالة حضارتنا العربية**، بيروت، ط2، دار الثقافة، 1975.